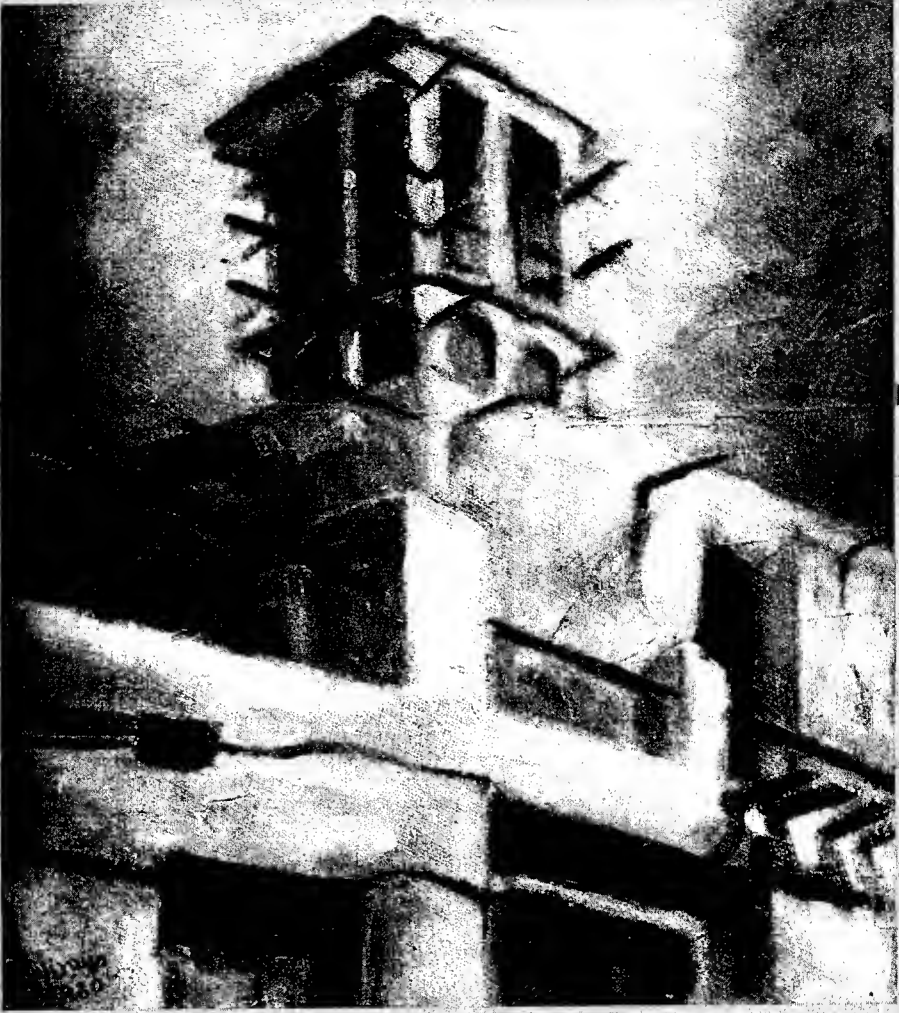


العمارة القديمة

في دولة الإمارات العربية المتحدة

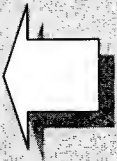
بقلم : الدكتور جواد مطر الحمد

إن دراسة المخلفات الأثرية التي يزيحها معول المنقب تكشف عن بعض جوانب التراث الحضاري وأثر الإنسان فيه . ونظراً لحدثة التنقيبات الأثرية في دولة الإمارات العربية المتحدة، وعدم نشر نتائج بعض البعثات الأثرية التي زارت المنطقة، وقلة المصادر والمراجع، حددت الباحثة في حسم الكثير من المسائل العالقة، لكن ذلك لا يمنع من محاولة وضع توطئة قدم لمثل تلك الدراسات . وفي دراستنا للعمارة نهدف إلى تأكيد أثر العرب في الأحداث.



التاريخية القديمة في منطقة الخليج العربي، وقد أخذنا بنظر الاعتبار في عرض المادة التسلسل الزمني قدر الإمكان، وحسب تقديرات العلماء للمواقع الأثرية، وركزنا على دراسة ما استظهر من وحدات بنائية (قبور ومنازل ومعابد) في المواقع الأثرية .

وفي الختام، إن هذه الدراسة هي خطوة من الخطوات أرجو أن تتبعها خطوات أخرى .



الوثيقة ١٣.

١ - القبور :

من أروع فنون العمارة في الخليج العربي، المدافن الدائرية الشكل التي شيد سورها الخارجي من الحجر المذهب المصقول الوجه المتقن البناء والتي تضم بداخلها تقسيمات بنائية خصصت لحدوداً للدفن، وقد عثر عليها في مواقع أثرية متعددة من دولة الإمارات العربية المتحدة، ومنها مواقع (جبل حفيت)^(١)، الذي يرجعه العلماء إلى عصر جمدة نصر في العراق القديم في حدود نهاية الألف الرابع قبل الميلاد (٣٢٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م)^(٢)، وعدد قبوره يزيد على أكثر من مائتي قبر على سبيل التقدير، وقد قامت أكثر من بعثة تنقيبية بأعمال التنقيب في هذا الموقع، ومنها البعثة الدنماركية لمدة موسمين كشفت خلالها عن عشرين قبراً، واختارت في البدء ما يزيد على تسعة وعشرين قبراً معظمها تعرض للسرقة في حقب زمنية متفرقة .

وقد أثبتت الحفريات أن جميع القبور متشابهة إلى حد بعيد، استعمل في بنائها الحجارة المحلية غير المهدبة، وقد رتبت بشكل صفوف الواحدة فوق الأخرى حول فراغ دائري أو بيضاوي الشكل، يعد بمثابة حجرة الدفن، وتم البناء على سطح الأرض مباشرة دون الحفر فيه، وروعي أن يجعل بكل مدفن فتحة من جهة الجنوب بشكل ممر ضيق، يتراوح قطر كل قبر قبل التنقيب بين (٧ - ١١) متراً ، وأقصى قطر لغرفة الدفن من الداخل هو (٢م)، وأكبر القبور يبلغ قطر حجرة الدفن فيه (٢,٨٥م) وارتفاعها (٢,٦م) وأصغرها قطر حجرته (١,٣٥م) وارتفاعها (١,٢٥م)، أما معدل عرض المدخل المؤدي إلى غرفة الدفن فهو (٥٠ سم) وغالبا ما يسقف مثل هذه القبور أو الممرات بصورة كلية أو جزئية بحجارة مسطحة كبيرة، وقد وجد داخل هذه القبور بعض السهام والخناجر والسيوف والأواني البرونزية وكمية من الأواني الفخارية المخروطية الشكل والخرز مصنوعة من المواد المختلفة .

أما بالنسبة لطريقة الدفن فتشير العظام البشرية إلى أن جسد الميت كان يسجى على جانبه والرأس متجهاً إلى الشرق، ومن الجدير بالذكر أن غرف الدفن كانت تتسع لأكثر من جثة واحدة، إذ عثر في أحد القبور على بقايا لأربع جماجم بشرية^(٣).

وفي الموسم الثاني (١٩٧١م) نقتب البعثة في ستة قبور على الجانب الشرقي من جبل حفيت على مسافة حوالي (٤ - ٥ كلم) شمال (مزيد)، أسفرت عن نتائج هامة، فالقبر الذي أعطاه المنقبون الرقم (١٣١٧) (شكل رقم ١) كان ارتفاعه أكثر من مترين بقليل وقطر التل الدائري سبعة أمتار وسماك الجدار أكثر من مترين، وفي القبر غرفة داخلية وأخرى خارجية تحيطان بغرفة صغيرة قطرها متران، فالجدران مشيدة من صخور غير منتظمة وهي عبارة عن قطع كبيرة من الحجر والمدخل في الجانب الجنوبي، ووجد في هذا القبر هيكل عظمي واحد موضوع على جانبه الأيسر وأرجله مسحوبة باتجاه الغرب، وهناك رأس منفصل موضوع في الشمال، يعود إلى هذه الجثة، أو قطع ودفن بصورة منفصلة، وهذا يدل على عادة مارسها السكان ونجد مثيلها في أماكن أخرى في المواقع الأثرية في أريحا (فلسطين) إذ عثر على بعض المسامير البرونزية وخرز صغيرة أسطوانية خضراء، مما يدل على أن الميت كان مكفناً أثناء دفنه أو موضوعاً في حصير، ووجد في القبر بعض الخرز والكسرات الفخارية.

ثم القبر المرقم (١٣١٨) ويقع في وادٍ يبعد (٥٠ متراً) عن القبر السابق، والجدار الذي يرتفع ثلاثة أمتار موجود في الجهة الشمالية، ويظهر أن القبر غير منتظم، أما القبر الذي رقمه الآثاريون (١٣١٩) فكان مربع الشكل ذا جدار خارجي دائري يحيط بالقبر. ويتألف الجدار السميكة من جدارين والمدخل في الجانب الجنوبي مع ممر ارتفاعه (١,٣٠ متر) وعرضه (٦٠ سم) قطر الحجرة متران، أما القبر المرقم (١٣٢٠) فيشبه في بنائه القبر السابق، وقطع حجر الأساس فيه كبيرة والجدار الخارجي عمودي، وبميل الجدار الداخلي إلى الانحناء عند الأرضية، والقبر المرقم (١٣٢١) الذي يقع حوالي (٥ - ٦ أمتار) فوق السهل المستوي قرب قدم الجبل، فلم يبق أثر للجدار الخارجي وبقي الممر على الجانب الجنوبي، أما القبر المرقم (١٣٢٢) فيقع على الجانب الشرقي من الجبل، ولم يعثروا فيه على شيء، بينما عثر في القبر المرقم (١٣١٩) على دبوس نحاسي وشظايا دبوس آخر ومسمار تثبتت من النحاس^(٤).

وفي سنة (١٩٧٢م) قامت بعثة عراقية بالتنقيب في سبعة عشر قبراً من قبور (جبل حفيت)، وبين سنة (٧٣ - ١٩٧٤م) قامت دائرة الآثار والسياحة في (أبوظبي)، باستئناف التنقيب، وتمكنت من كشف عشرة قبور أخرى، وكان أحد القبور مستطيل الشكل طوله (٣,٧٠م) وعرضه (٣,٢٠م)، وآخر بيضاوي مقسم من الداخل إلى ثلاثة أقسام، أما بقية القبور فجميعها بأشكال دائرية غير منتظمة، تتجه أغلب مداخلها نحو الجنوب^(٥).

وقامت البعثة الفرنسية بين سنة (٧٦ - ١٩٧٧م) بالتنقيب في ستة قبور، شيدت بجدارين دائريي الشكل يتحدان في مركز وسقف ذي بروز وتواجه القبور الجنوبية عضادات مستقيمة أو مائلة قليلة والممرات تغطي بكتل كبيرة من الحجر، وارتفاع القبر الأول (١,٥٠م) وقطره من الخارج ((٦,٢٠م) وقطر الغرفة الجنائزية متران وارتفاع الجدار الخارجي الحالي لا يزيد عن (٦٠ سم) وهو عبارة عن كتل حجرية موضوعة في صفوف غير منتظمة، وارتفاع الباب (١,٢٠م) وعرضه (٦٠ سم)، وقد رصفت الغرفة الجنائزية بأحجار صغيرة مستوية وضعت على الأرض، أما القبر الثاني فغرفته الجنائزية (٢,٥ م) وسمك القبر الداخلي بين (٨٠ - ١٢٠ سم) ولم توضع الكتل الحجرية بصورة منتظمة حتى ارتفاع متر واحد ثم صف من أحجار كبيرة وضعت على رؤوسها، قد تكون قاعدة للسقف ذي البروز وتستقر عليه عتبة الباب العليا، ويفتح باب القبر نحو الجنوب وارتفاعه (١,١٠م - ٥٥ سم) والغرفة الجنائزية دائرية الشكل تقريباً، والقبر الثالث دائري الشكل قطره (٥,٣٠م) والحجرة مستطيلة الشكل تقريباً، وسمك الجدار الثاني للقبر متر واحد وهو مشيد من كتل حجرية وضعت في صفوف وينحني قليلاً إلى الداخل، ووضعت الأحجار في الجدار الخارجي بصورة متناوبة طولاً ورأساً، أما الممر فطوله متران وعرضه (٦٠ سم) وارتفاعه عند عتبة الباب (١,١٠م) وأبعاد الغرفة الجنائزية (٢,١٠ × ١,٦٠م) بأرضية من الصخر الطبيعي، وفي هذا القبر عثر على هيكل بشري واحد، وضع بصورة جانبية وأرجله مسحوبة نحو بطنه، أما القبر الخامس فارتفاعه (١,٥٠م).

وكما رأينا في هذه الأمثلة، فإن قبور جبل حفيت تتألف من مدخل مع ممر يؤدي إلى الغرفة، مما يدل على أن القبر قد أريد به دفن أكثر من شخص واحد، ويؤكد هذا الاستنتاج كثرة الأثاث الجنائزي الذي وجد في هذه القبور والتي لا بد وأنها دفنت مع

أكثر من ميت واحد، فبعض المدافن تحتوي (٣ - ٤) قبور وأحياناً على (٤ - ٥) في غرفة واحدة، وهذا يدل على الدفن المتكرر أو أنها مدافن عائلية، وكان الميت يدفن على جانبه ويده أمام وجهه ورجلاه مثنيتان ورأسه نحو الشرق (مشرق الشمس)، وهذا لا يماثل قبور البحرين التي على شكل خلية النحل محاطة بركام من الصخور، بل إن قبور جبل حفيت تشابه كثيراً مقابر (عبري) في عمان، ولكنها أكبر حجماً، وهي تكاد تطابق قبور جمدة نصر في وسط العراق^(٧).

أما الدفن في الجانب الشرقي فقط من جبل حفيت، فلا بد أنه ينم عن معتقد ديني كان سائداً لدى سكان المنطقة لا نعرف عنه - الآن - شيئاً، وربما فضلوا الدفن في القسم الشرقي لقربه من مواقع سكنهم^(٨).

وفي جزيرة أم النار^(٨)، عثر على ما يقرب من خمسين قبراً، تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد، تقع على التل الشمالي الشرقي للجزيرة، وقد قامت البعثة الدنماركية بأعمال التنقيب في تسعة قبور بين سنة (١٩٥٩ - ١٩٦٢م) ومن مميزات هذه القبور تزايد الحجم والارتفاع النسبي مما يدل على أهمية الشخص المدفون ومقامه الاجتماعي، ولهذا نلاحظ كثرة المقابر الصغيرة وقلة المقابر الكبيرة، وكانت أحجار هذه القبور منقورة ومقطوعة ومصقوفة على بعضها البعض بتنظيم هندسي يتناسب مع الشكل الدائري للقبر وبإتقان تام دون استعمال أي مادة ربط، ويتكون القسم الداخلي لكل من هذه القبور من عدد من اللوح يفصل بعضها عن بعض جدران أحجارها خشنة غير منقورة ويتراوح قطر هذه القبور الدائرية ما بين ثلاثة أمتار واثني عشر متراً كحد أقصى ولا يزيد ارتفاعها في الغالب على مترين، وتمتاز الجدران الخارجية بالازدواجية والاختلاف في الصقل الخارجي للأحجار حسب حجمها وأهميتها، ففي القبور الكبيرة نجد أن الجدران الخارجية مبنية من أحجار كبيرة مصقولة صقلاً جيداً ذات تشكيل وتثبيت دقيقين رصت فوق بعضها البعض دونما حاجة إلى استعمال مادة للربط، في حين نجد هبوط مستوى أعمال النحت والتشكيل والصقل في القبور الصغيرة، ويلاحظ أن الحجرة المنحوتة المصقولة تكون أكبر في أدوار البناء السفلية وتصغر في الحجم كلما ارتفع البناء، والغرض من ذلك هو المحافظة على الجدران من السقوط، أما الجدار الدائري الخارجي فيستند على قاعدة من قوالب حجرية كبيرة ارتفاعها (٢٠ سم) تقريباً، أما ارتفاع

الجدران الدائرية فيبلغ (٧٠ - ١٤٠ سم) تقريباً فوق القاعدة، ويبلغ عدد الأضداد في أقصى الحالات عشرة أضداد حيث تميل هذه إلى الداخل، أما الجدار الدائري الداخلي فيتنصف بالخشونة، ويوجد في الجدار الدائري لكل قبر فتحة كبيرة نسبياً تؤدي إلى نهاية الممر الأوسط الذي يفصل حجرات الدفن، وقد تنحت هذه الفتحات للمداخل نحتاً خاصاً ودقيقاً، وقد وجدت بعض أحجار هذه المداخل في وضع سليم وكان بعضها ذا فتحة كبيرة إلى درجة تكفي لدخول شخص، وبعض القوالب الحجرية التي استعملت في البناء كانت مزخرفة بصور حيوانات مثل : الثيران والغزلان والماعز والجمال والنعابين وصور الآلهة، أما داخل القبر فقد قسم إلى قسمين متساويين يفصلهما ممر .

ويعاد تقسيم كل منهما إلى قسمين آخرين متساويين بجدار يمتد من الجدار الدائري إلى جدار الممر الأوسط في زاوية مستقيمة ثم يعاد تقسيم الأقسام الأربعة إلى قسمين لكل منهما جدران منحنية بطريقة هندسية بحيث تكون لحدوداً منفصلة للدفن واطئة تشبه الصناديق .

أما سقوف هذه القبور فتتكون من مصاطب كبيرة تستند على أحجار بارزة يتراوح ارتفاعها ما بين (٧٠ - ٩٠ سم) وقد عثر على إحدى هذه المصاطب السقفية، وهي لا تزال في موضعها الأصلي، وكانت مصاطب التسقيف توصل بأقرب نقطة ممكنة لها، إذ كلما ازدادت مساحة التسقيف ازدادت الجدران التي تستند عليها السقوف .

وقد عثر داخل اللحد على هياكل بشرية ولم يكن هناك نظام معين للدفن، بل كان كل شيء مكمّواً على بعضه البعض بدون تنظيم ظاهري على الأقل، كما لم يكن هناك اتجاه خاص في وضع الجثة، ففي أحد القبور مثلاً وجدت هياكل عظمية واحد منها بشكل القرفصاء، والآخر ممتد كما أن الجثة لا توضع في مكان معين في اللحد، إذ قد تتوسطه أو تلتصق الجدران وقد تستند على قاعدة جدار القبر .

ويبدو أن الميت كان يدفن بملابسه أو بملابس خاصة للدفن مطرزة بالخرز، والدليل على ذلك هو العثور على كميات كبيرة من الخرز المختلفة الأشكال والأحجام بعضها منشد في صفوف مع قطع من القماش، ويتميز هذا الخرز بكونه صغير الحجم أجوف وأسطواني الشكل من الحجر الرمادي .

وتلك القبور تشبه إلى حد كبير القبور المكتشفة في موقع (أم الماء) في قطر وتلال الدفن في أقصى الجنوب الشرقي من البحرين وهذه الأماكن تعود إلى العصر البرونزي (٣٠٠٠ ق.م) ويرجع ذلك للقرب الجغرافي والاجتماعي مما يدل على الوحدة الحضارية للمنطقة^(٩).

ومن نماذج قبور جزيرة (أم النار)^(١٠)، القبر الذي يطلق عليه قبر (أم النار الكبير) وهو دائري الشكل مقسم من الداخل إلى قسمين رئيسيين شمالي وجنوبي قسم كل منهما إلى أربعة أقسام بواسطة تقاطع الجدران، فالأقسام الأربعة الشمالية يصل بينها ممر محيطي يقع المدخل الشمالي في منتصفه، أما الأقسام الأربعة الجنوبية فهي مشابهة تماماً للأقسام الشمالية إذ يقع المدخل الجنوبي في منتصفها، ويعد هذا القبر من أكبر القبور قطعاً وأعلاها ارتفاعاً إذ يبلغ قطر دائرته (١١,٢٠م) وقد بني هذا القبر على قاعدة من الحجر صُفِّ فوقها العضد الأول من الجدار المتكون من صفيين من الحجر، أما الصف الخارجي فيتكون من قطع كبيرة منتظمة الشكل أغلبها مستطيلة ومنها مربعة تقف على أحد أضلاعها، صُفِّت فوقها وبجانبتها القطع الأخرى بطريقة الحل والشد وأغلب حواشيها قائمة ومهذبة ذات وجه خارجي مصقول يتراوح ارتفاع الصف الأول بين (٥٠ - ٦٠ سم) وطول الحجرة الواحدة يتراوح بين (٣٠ - ٩٠ سم) وقد قوست كل قطعة بالاتجاهين الأفقي والعمودي، الأفقي لأن المخطط العام دائري، والعمودي لسبب معماري غرضه أولاً الجمال، وثانياً لجعل مركز الجدار يميل إلى الداخل لزيادة التماسك بين القطع وعدم ميل الجدار إلى الخارج بتأثير العوامل الطبيعية، وربما هناك سبب ديني ثالث مرده أن النقوش في الجدار لا تتيح للناظر إليه رؤية نهايته مما يوحي بأن الجدار لا ينتهي وهذا يدل على عدم انتهاء الحياة، كما في اتحاد جدران الزقورات السومرية، ثم العضد الثاني فوق العضد الأول بنفس الطريقة، إلا أن الثاني أقل قطعاً، وذلك لميل الجدار إلى الداخل من جميع الجهات، وكذلك أقل ارتفاعاً من العضد الأول إذ يتراوح ارتفاع الحجر فيه بين (٤٠ - ٥٠ سم) وطول القطعة بين (٣٠ - ٧٠ سم) والعضد الثالث أقل قطعاً وارتفاعاً وحجماً للقطعة الواحدة وهكذا على شكل متوالية هندسية غرضها الجمال والبساطة وسهولة العمل^(١١). ويعتقد أن هذا القبر هو مدفن جماعي، كما أنه أثر في قبور (بات) في عمان (شكل رقم ٢).

وإلى نفس الحقبة (الألف الثالث قبل الميلاد) ترجع أغلب قبور (المنيمة) في إمارة عجمان التي هي عبارة عن ركم دائرية الشكل من الحجارة غير المهذبة قطرها يتراوح بين (٢ - ٢,٥ م) وارتفاعها عن سطح الأرض الصخرية حوالي (٥٠ سم)^(١٣).

وفي موقع (هيللي)^(١٣) (٢٧٠٠ - ٢٥٠٠ ق.م) عثر على أكثر من قبر، ومن خلال التنقيبات التي جرت في سنة (٧٢ - ١٩٧٣م) في القبر (A) الواقع في القسم الشرقي من قرية هيللي، كشف عن جدار شبه مستدير قطره (٧,١٠ سم) ذي خمسة أعضاد بارتفاع متر واحد، كما عثر في الداخل على جدارين متوازيين من الشمال إلى جنوب الأول بطول (٥م) يقسم القبر إلى قسمين غير متساويين وعلى بعد (١,٧٥م) من هذا الجدار يمتد الجدار الثاني وهو بطول (٥,٥٠م) ونتيجة لذلك تتشكل غرفة دفن مستطيلة قسمت إلى قسمين متساويين بواسطة جدار غير سميك من الشرق إلى الغرب، حيث يبلغ معدل قياس الأحجار المستعملة في بنائه (٢٥×٢٥×٢٠سم) واستعمل الطين الممزوج بأية مادة أخرى للربط وهي بسمك (٢سم)، ويبلغ سمك الجدران الداخلية (٥٠ - ٦٠سم) وارتفاع متر واحد ولقد أقيمت الجدران على أسس من الأحجار الصغيرة ولاسيما الجدران الداخلية والجدار المستدير الداخلي، وقد عثر داخل القبر على عدد من الأحجار المسطحة وهي دليل واضح على استعمالها في التسقيف ولا نعلم فيما إذا كان القبر مستقوفاً بأكمله أو أن أجزاء منه قد تركت مكشوفة.

وهناك احتمال أن هذا القبر كان قد حُط على الأرض قبل بنائه ثم حفرت الأرض إلى العمق المطلوب فأصبح بشكل حفرة دائرية، حيث أقيم من الداخل جدار دائري بني من الأحجار غير المنحوتة، أقيمت باتجاه داخلي لخلق شكل جميل، وبعد ذلك قسم القبر داخلياً بإقامة جدارين متوازيين من الشمال إلى الجنوب وفي الأقسام العليا من القبر وضعت الأحجار المنحوتة ذات القياس (٦٠-٧٠سم) للدلالة على القبر، وبعد الانتهاء من عملية الدفن كان القبر يغطى بالتراب المتخلف من الحفر وتبقى الأحجار العليا ظاهرة للعيان لغرض تمييزه، وتجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من القبور معروف في عصور ما قبل التاريخ في (تمركرا) في غرب الباكستان وغم اختلاف الشكل والحجم فإن طريقة البناء واحدة، واستناداً لذلك يمكن أن تعود قبور (هيللي) إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد^(١٤).

أما القبر (B) في هيلي والذي يقع على بعد (١٨٠م) شرق القبر (A) فقد بدأت عمليات التنقيب فيه عام (١٩٧٢م) واستمرت لمدة خمسة أشهر، والقبر دائري الشكل قطره (١٠م)، وجداره الخارجي مبني من أحجار منحوتة حيث سويت وجوها الخارجية وصقلت جيداً، ويبلغ قياس الغرفة الواحدة (٨٠×٦٠سم) و (٦٠×١٠٠سم)، والقبر مشابه للقبر (A) وطريقة بنائه تمت بواسطة تخطيط دائرة منتظمة في المكان المراد تشييده ومن ثم يبدأ بوضع حجارة في أول الصف من الأسفل، ومن ثم يقسم القبر داخلياً حسب المطلوب بواسطة عمل جدران متقاطعة، وغالباً ما تستعمل الأحجار الكبيرة غير المصقولة في بناء الأسس، أما غرف الدفن فقد شيدت عن طريق تقاطع الجدران المبنية من الأحجار الخشنة وهي أكثر وضوحاً من التقسيم ذاته في القبر (A) فالقبر (B) قسم إلى أربعة أقسام رئيسية وكل قسم منها قسم إلى قسمين آخرين بواسطة جدران متجهة من الشمال إلى الجنوب عدا جدار واحد متجه من الشرق إلى الغرب، وليس لدينا تصور واضح عن طريقة الدفن في هذا القبر بسبب تكرار الدفن فيه أكثر من مرة، مما يؤدي إلى تنظيف (كنس) مكان الدفن أكثر من مرة، واعتقد بعض المنقبين أنه ربما يوضع الميت في العراء قبل دفنه ثم ينقل إلى القبر فيما بعد .

أما القبر (C) ويقع إلى الغرب من القبر (B) على بعد (١٧,٥م) وهو دائري الشكل قطره (٨,٧٠م) فلم يبق من جداره الدائري البالغ سمكه (٨٠ - ٨٥سم) سوى صفيين من الأحجار المنحوتة، ترتكز على قاعدة حجرية تبرز مقدار (١٨سم)، أما قياسات الأحجار المنحوتة المستعملة في تركيب الجدار الدائري فتبلغ (١٩×٤٤سم) و (١٧×٢٢سم) قسم هذا القبر بواسطة جدار قاطع سمكه (٧٠سم) من الشرق إلى الغرب، إلى قسمين رئيسيين من الشمال إلى الجنوب ويقطع هذا الجدار من جهتين متقابلتين جداران متوازيان من الجنوب إلى الشمال، وبذلك يقسم كل نصف ثلاثة أقسام أما الجداران المتوازيان فلا يتصلان بالجدار المدور من الداخل ليكون هناك ممر محيطي يصل بين هذه الأقسام التي استعملت لدفن الموتى حيث وجدت عظامهم مهشمة .

أما القبر (D) فهو دائري الشكل يقع إلى الشمال الشرقي من القبر (B) وقد تعرض إلى التخريب ولم يبق منه سوى بعض الأحجار المسطحة التي تغطي الأرضية وفي النصف الشمالي منه توجد بقايا للجدار الدائري بعرض (٧٠سم) ويتكون من صف واحد من

الأحجار المنحوتة وهي بأحجام مختلفة أكبرها (١٩×٦٩سم) وأصغرها (١٨×٢٨سم) هذا ولم يعرف شيء من التقسيمات الداخلية لشدة ما تعرضت له من التخريب .

والقبران (F.G) يقعان شمال القبر (B) على بعد (٣٠٠م) تقريباً وهما على شكل دائرتين متجاورتين لا يفصل بينهما سوى (٩٠سم) استعملت الأحجار المهذبة في بنائهما ولكن بأحجام أقل بكثير من تلك المستعملة في القبور الأخرى وهي بقياس (٣٠ - ٤٠سم) طولاً و (١٠سم) سمكاً وقد تعرض كلاهما لأعمال السرقة والتخريب التي حدثت في أزمان قديمة حيث لم يبق من أساسهما سوى القليل جداً .

والقبر (F) مدور قطره (٦,٦٠م) ولم يبق من جداره الخارجي البالغ عرضه (١١٥ - ١٢٠سم) سوى النصف وبارتفاع خمسة صفوف، وكل ما يمكن معرفته من التقسيمات الداخلية هو سمك الجدار (٩٠سم) يتجه من الشرق إلى الغرب، والقبر (G) دائري الشكل أيضاً قطره (٦,٤٠م) وهو يشبه القبر السابق يبلغ عرض جداره الخارجي (١,١٠م) أما تقسيماته الداخلية فلم يبق سوى أربعة صفوف من الأحجار بطول (٣٠ - ٤٠سم) وسمك (١٠ - ١٢سم) ويقسم المدفن إلى قسمين على غرار القبر (F) والأرضية ممهدة بالمصاطب الحجرية^(١٥) .

ومن أهم قبور (هيللي) القبر المسمى بقبر هيللي الكبير، الدائري الشكل قطره (١١,٦٠م) وارتفاعه (٣,٨٥م) مقسم من الداخل إلى قسمين بمرور وسطي وكل قسم مقسم إلى جزئين، أي أن عدد الغرف أربعة، والجدار الخارجي دائري الشكل، يتألف من ثلاثة صفوف، ارتفاع الصف الأول (١,٥٠م) عدا حجارتى المدخلين حيث يبلغ ارتفاع كل منهما (٣,٢٨م) (٣,٨٠م) أما ارتفاع الحجر في الصف الثاني فيتراوح بين (٤٠ - ٦٠سم) وهكذا نلاحظ أنه كلما زاد ارتفاع القبر قل ارتفاع وطول الحجر للتخفيف من وزنه وتسهيل حمله وتركيبه^(١٦) (شكل رقم ٣) .

والحقيقة أن هذا القبر يعتبر قمة ما وصل إليه فن البناء والنحت في هذه المنطقة في تلك الحقبة الزمنية، ليس فقط في سعته وعلو ارتفاعه، بل في حجم أحجاره وصعوبة نقلها ونحتها وزخرفتها، إذ يبلغ وزن بعضها خمسة أطنان تقريباً، وطولها يقارب الأمتار الثلاثة وارتفاعها يقارب المترين، بعضها يحوي فتحات دائرية منحوتة في الوسط بقطر (٢٥ - ٣٠سم) بمثابة منافذ للتهوية أما حجارة المدخلين فيبلغ ارتفاع كل منهما

ثلاثة أمتار، وقد نحت المدخل في النصف الأسفل منها تقريباً على شكل فتحة مثلثة الشكل رأسها الأعلى مدور وطول قاعدتها (٦٨سم) وارتفاعها (٧١سم) أما ارتفاع القاعدة على الأرض فيبلغ (٩٢سم) وقد نحتت فوق الفتحات بعض الرسوم البارزة^(١٧).

إن قبور هيلي بصورة عامة دائرية الشكل مشيدة من الحجر الرملي المقطوع بانتظام وهي تماثل قبور أم النار، والقبر الرئيسي (الكبير) في هيلي كان أكثر إتقاناً في بنائه من البنايات الأخرى الموجودة على الساحل فالحجارة التي استعملت في بنائه أكبر حجماً بكثير من الحجارة المستخدمة في قبور أم النار^(١٨).

وفي الجزء الشمالي من (رأس الخيمة) أثبت المسح الأثري الذي قامت به البعثة الدنماركية أن المباني من القبور والمنازل ذات قواعد قوية وصلبة، وهذا مكنها من الخلود عند مداخل الوديان، فعثر على بعض شواهد القبور في وادي (غليلة) وهي عبارة عن بناء حجري يعلوه سقف تغطيه أحجار أصغر حجماً، ويبلغ ارتفاع البناء نحو (١٦ قدماً) كذلك عثر على مقابر مختلفة الأنواع قرب مدخل وادي (جحيل) إلى الجنوب، وتأخذ هذه المقابر شكل بناء حجري مستطيل يضم قبباً عند الأطراف، وتكسو القبر كتل حجرية كبيرة، كما توجد أحجار تؤلف زاوية قائمة من الكتل الحجرية، مما يظهر بأنه المدخل الوحيد الموجود في المنتصف، ويعد هذا الوادي منطقة هامة للبحث الأثري لاسيما وأنه يضم قلعة حجرية عند مدخله قرب (جلفان)^(١٩) الميناء القديم الذي اشتهر في العصر الإسلامي.

أما في موقع (بديع بنت سعود) فقد قامت البعثة الدنماركية بالتنقيب في ستة قبور من مجموع أربعين قبراً، كما قامت دائرة الآثار في دولة الإمارات العربية المتحدة بالتنقيب في هذا الموقع بين سنتي (٧٣ - ١٩٧٥م) وتميزت قبور هذا الموقع بأن أغلبها دائري الشكل عدا القبر رقم (٣) وهو قبر مستطيل الشكل طوله (٨م) وعرضه (٦م) وهو مقسم إلى أربع غرف، بني من الأحجار غير المهذبة بقياس معدله (٢٠×٢٠×٥٠سم) وقد استعمل الرمل المزوج بالطين لربط الحجارة، وترتفع جدرانها ما بين (١ - ٢م) ولم يعثر على دلائل تشير إلى وجود مدخل خارجي^(٢٠)، ويعد هذا القبر المستطيل الشكل استثناءً بدون شك بين بقية القبور الدائرية ويعود إلى فترة لاحقة متأخرة (الألف الأول ق.م).

ويمثل البناء المستطيل في موقع القطارة^(٢١) الذي عثر فيه على قبور مستطيلة الشكل معظمها قبور جماعية^(٢٢).

أما القبور الدائرية فأفضل مثال عليها القبر رقم (٧) الدائري الشكل بقطر (٧,٢٠م) المقسم من الداخل إلى ستة لحدود بواسطة جدارين متجهين من الشمال إلى الجنوب وسطهما فتحتان متقابلتان، كما عثر على قبور أخرى كلها ذات شكل دائري مثل القبور ذات الأرقام ١٨، ١٥، ١٦، ١٧، ٢، ٤، ٢٠، ٢١^(٢٣) ويعتقد أحد الباحثين أن القبور الدائرية في موقع (بديع بنت سعود) تمثل مرحلة متقدمة عن قبور جبل حفيت^(٢٤).

ومن أكبر المواقع الأثرية في دولة الإمارات موقع القصيص (١٢٠٠ - ١٠٠٠ ق.م)^(٢٥) وقد عثر فيه على قبور جماعية وانفرادية، ومنها أحد القبور المستطيلة الشكل أبعاده (١,٥×٧,٥م) شيد من حجارة الفروش الكبيرة الحجم، واستعمل الطين لربطها، له مدخل يقع في منتصف الجدار، يبدأ بممر قصير يؤدي إلى باب ثم إلى دكة أبعادها (٦٠×٧٠ سم) وارتفاعها عن سطح أرضية القبر (٥٠سم)، وقد عثر على هياكل عظمية بدون جماجم وهذا مثير للتساؤل، لاسيما أن عظام الجماجم أصلب من بقية عظام الهيكل الأخرى، لكن مدفناً آخر قريباً منه من نفس الموقع ومعاصر له عثر فيه على جماجم بشرية، والتفسير الوحيد لهذه الظاهرة هو وجود أكثر من مجموعة بشرية في موقع القصيص كل منها له تقاليد خاصة على الأقل في مراسم وطرق الدفن، ويتبين أن القبر قد استعمل لدفن أفراد عائلة واحدة، وكان الملحد يوضع على أرضية القبر مع هدايا جنازية، ثم يغلق باب الدفن لحين استعماله مرة أخرى لدفن شخص آخر، ويلحق بالقبر ثلاث غرف مع مصطبة خارج جدران الغرف، ربما كان الغرض منه إجراء مراسيم الدفن فيها قبل وضع الميت في القبر، أي تبدأ مراسم الدفن في الغرف المجاورة وتنتهي بوضعه على أرضية القبر مع كامل عدته، والتي كانت تضم فضلاً عن الهدايا بعض الطعام والشراب، بدليل عثورنا على بعض العظام الحيوانية^(٢٦) وعثر في نفس موقع القصيص على قبر انفرادي عند الزاوية الغربية لأحد القبور الجماعية، وهو مستطيل الشكل (١,٦×٦,٠م) وعثر على هيكل عظمي كامل بهيئة القرفصاء وموضوع على جانبه الأيمن ورأسه متجه نحو الجهة الجنوبية الغربية، وكلتا يديه تستريحان تحت القسم الأيمن للجمجمة، وأهم المعثورات التي دفنت معه هو قطعة رقيقة من الفضة

مستطيلة الشكل على جبهة عظم الجمجمة، وفي كل نهاية من هذه القطعة ثقب صغير مما يدل على أنها كانت تشد حول جبهته أي أنها كانت نوعاً من الحلي، أبعادها (٩×١٠ملم) وسمكها أقل من (١ملم) .

كما عثر على قبر آخر قربه ملاصق للقبر الجماعي، مستطيل الشكل (١×٥,٥م) وعثر فيه على بقايا هيكل عظمي (عظم الحوض وعظام السيقان) وقرب عظم الحوض عثر على خنجر برونزي مع رؤوس سهام، ويستدل من تشابه المعثورات في القبر الجماعي والقبرين الانفراديين على أنهما يعودان إلى نفس الحقبة الزمنية (شكل رقم ٤) وبعد عشرة أمتار شمال هذه القبور عثر على قبر جماعي أبعاده (١,٢×٦,٧م) وفي مدخله دكة حجرية ترتفع عن سطح أرضية القبر (٥٠سم) ومعالمه تشبه معالم القبر الجماعي السابق .

وعلى مسافة (٤٠م) باتجاه الجنوب الشرقي تم الكشف عن مجموعة من القبور الانفرادية تقدر بـ (٢٤) قبراً ضمن مساحة البحث (١٣×٤٠م) وهذه القبور تتباين في الأشكال والمساحات والأحجام والأعماق أي ليس لها نظام ثابت، كما أن هدايا الملحود غير محددة بعدد أو نوعية، فبعض القبور المستطيلة الشكل مثلاً غالباً ما تكون عميقة وغنية بالهدايا الجنائزية، وتحتوي على رف وتجويف مخصص للهدايا يقع على مستوى أرضية الملحود، أما القبور الدائرية فتكون غير عميقة وفقيرة في معثوراتها وهي لا تتعدى في بعض الأحيان كأساً فخارية أو إناءً حجرياً ولا تحتوي على رف أو تجويف، وبين كل هذه القبور لم يعثر سوى على قبر واحد فيه هيكلان عظميان واحد فوق الآخر وهما بهيئة القرفصاء .

عموماً فإن عادة الدفن كانت تجري كالآتي : يقطع القبر في الأرض الكلسية (السبخة) بعمق يتراوح بين (٢٢٠ - ٨٠سم) أما معدل طوله (٢٠٠ - ٧٠سم) وعرضه (١,٥ - ٠,٥م) ويحتوي القبر في العادة على رف بأبعاد تتراوح ما بين (١٥٠ - ٨٠سم) وأسفل هذا الرف تخصص مساحة لوضع الميت أبعادها في الغالب تساوي أبعاد الرف، وعلى طول المساحة المخصصة لوضع الميت هناك تجويف يمتد أفقياً إلى مساحة (٢٥سم) وارتفاع (٢٠سم) يخصص لوضع الآثار الجنائزية .

أما طريقة الدفن فبعد وضع الميت والذي يكون أغلب الظن ملفوفاً بالقماش (عثر على قطعة من القماش ملصقة بأحد الخواتم البرونزية الذي كان بأحد أصابع الميت) ويكون بهيئة قرفصاء، وتوضع إحدى يديه تحت رأسه بعد ذلك ويوضع في التجويف الأثاث الجنائزي ثم يغلق التجويف بواسطة حجارة صغيرة، وتوضع بجانبه بعض الهدايا . وكان يوضع قريباً منه كمية من الطعام الذي يحوي لحم حيوان إضافة إلى الشراب، بعد ذلك يغطي القبر بقطع كبيرة من الأحجار أي أنه لا يوارى بالرمال أو التراب^(٢٧) .

وفي الحيز الثالث من موقع (مليحة)، الذي يعتقد بأنه يعود إل الحقة الهلنستية كشف عن قبر مربع الشكل (٢م٣,٦٥) ذي جدران بسمك (٧٥سم) مشيد بالطابوق المربع المصنوع من الجص (٤٥×٤٥×١٢سم) أما جدران هذا القبر فتغور إلى عمق (٣,٥م) ويبدو أنه كان ظاهراً بارتفاع مترين فوق سطح الأرض^(٢٨) .

٢ – المنازل والمعابد :

إن قلة الوحدات البنائية (المساكن والمعابد) في مراكز الاستقرار في المواقع الأثرية في الإمارات العربية المتحدة، يعلل أن الذين استقروا، كانوا يقطنون مساكن مشيدة من مادة قابلة للآندثار (عرائش) قد تكون من مادة سعف النخيل أو من جلود الحيوانات أو الصوف، لكن أسسها مشيدة من مواد كلسية، وتشيد الأسس من مادة صلبة والجدران من مادة خفيفة الوزن وسهلة التشييد يعود إلى كون الرمال مادة غير صلبة (هشة) لا تتحمل ثقل الجدران، فضلاً عن التكاليف والجهد القليل الذي يخصص لبناء مثل هذه الوحدات البنائية وفي موقع أم النار عثرت البعثة الدنماركية على بيت تبلغ مساحته (٢م٣٠٠) وقسمه الداخلي مقسم إلى سبع غرف مستطيلة عرضها جميعاً ثلاثة أمتار وطولها (١١م)، وبنيت الدار بمستوى الصخور المنحدرة قليلاً باتجاه الشاطئ، وكان سمك الجدران (٩٠سم) وهي من الحجر الجيري المتوافر في المنطقة واستعمل الطين في

البناء وبقلة وهنا وهناك بوابات بين الغرف عرضها (٨٠ - ٩٥سم)، والأقسام العليا من الجدران والسقف لابد أنها كانت مكونة من مواد سريعة التلف^(٢٩).

ومن أفضل المواقع التي عثر فيها على بيوت هو موقع (هيللي) فقد اكتشفت بيوت سكنية كاملة تقريباً، وتراكم الرمال حول هذه المساكن صانها من الانهيار، وبعد الكشف عنها تبين بأنها صغيرة المساحة شيد أساسها على طبقة صلبة من (الدر) وطلبت جدرانها بالجص، وكشفت البعثة الفرنسية عام (١٩٧٥م) عن سراديب ملحقة بهذه البيوت ربما استخدمت للخبز أو الاستفادة منها وقت القيلولة، لاسيما أن مناخ منطقة العين حار جاف طيلة أيام الصيف، كذلك هذه البيوت تحوي في بعض الأحيان ممراً ضيقاً قصيراً، ومن بين هذه البيوت، ما يتراوح ارتفاعه الأصلي بين (٣ - ٣,٢٠م) وفي أعلى جدرانها تشاهد إلى الآن المزاريب الفخارية والتي توهي بوجود نظام لتصريف مياه الأمطار وربما كانت الأمطار غزيرة عكس ما هي عليه في الوقت الحاضر^(٣٠).

وإلى الشرق والشمال من منطقة (هيللي) على طول جبال (أوحا) هناك عدد من التلال لابد وأنها كانت تضم بنايات مشيدة من اللبن، وعثر في أحد التلال على قلعة أو برج مراقبة دائري الشكل قطره (٢٤م) في وسطه بئر، محاط بخندق عرضه خمسة أمتار وعمقه أربعة أمتار ولم يعثر فيها على أية آثار^(٣١).

ومع شديد الأسف تعرض موقع (قطارة) إلى التخريب نتيجة لحفر الآلات الميكانيكية، وكان من الممكن التعرف على العمارة السكنية من خلاله، وكل ما تبقى منه أسس حجرية من ثلاثة صفوف تشكل غرفة مستطيلة الشكل طولها المكشوف (٩,٧٠م) وعرضها (٢م)، أما جدرانها فلم يتبق منها سوى الأجزاء السفلى بارتفاع (٥٠سم) ولهذه الغرفة مدخل عرضه (٨٥سم) يتكون من حجرتين متقابلتين وقد استخدمت في هذا الموقع الحجارة المهذبة والمقطوعة بشكل جيد^(٣٢).

وفي موقع (تل رميلة)^(٣٣) قامت البعثة الدنماركية في بداية الستينات بالتنقيب أيضاً واكتشفت بعض الأسس المشيدة من (الدر) والطين وتمثل هذه الأسس غرفاً واسعة لها مداخل وأرضيات، كما أن جدرانها الخارجية والداخلية كانت مطلية بمادة الجص، وقد شيدت الأسس على أرض رملية (هشة) كذلك قامت مديرية آثار العين بالتنقيب في هذا

الموقع عام (١٩٧٤م) وثبت وجود بيوت سكنية أخرى في هذا الموقع تعود إلى العصر الحديدي، تقع قرب السطح^(٣٤).

وعثر في موقع القصيص على ثلاث غرف مستطيلة الأساس، مشيدة من حجر (الفروش) وهي تسمية محلية سائدة في منطقة الخليج العربي لنوع من الأحجار التي تكثر على سواحل الخليج، والحديثة التكوين والقاعدة الأساسية في تكوين هذه الأحجار هي الأصناف البحرية ولحداثة تكوينها فإن البعض منها يحتوي على قطع برونزية أو فخارية، والمادة المستخدمة في ربط هذه الأحجار هي الطين.

إن الشكل العام لهذه الغرف هو الدائري، في منطقة مربعة الشكل (٢م٦,٥) وجدران هذه الغرف يتراوح سمكها ما بين (٥٠ - ٨٥سم) وتقوس إلى الداخل لتعطي شكلاً نصف دائري، وفي منتصف الجدار الشرقي عثر على مدخل صغير عرضه (٥٠سم) يؤدي إلى مدخل الغرفة الوسطى^(٣٥).

وكانت أبعاد الغرفة الأولى (١,٥٠×٤,٦٠م) والغرفة الثانية (١,١٠×٤م) أما الغرفة الثالثة فكانت (١,٦٥×٤,٦٠م) كما أن تقوس جدران الغرفة الأولى والثانية، قد أعطى للوحدة البنائية عموماً شكلاً بيضاوياً، وأن الدخول إلى الغرفة الثانية (الوسطية) كان يتم عن طريق الغرفتين الأولى والثالثة، كما كان يتم عن طريق المدخل الرئيسي والشكل العام لهذه الوحدة البنائية يوحي بأنها كانت مسقفة بسقيفة أشبه ما تكون بالقبة، وعلى مسافة (١,١٠م) من الجانب الأيسر من المدخل عثر على مصطبة ملاصقة للجدار المقوس طولها (٢,١٠م) وعرضها (٥٠سم) أما ارتفاعها فيقارب (٤٠سم).

وفي (تل الثعابين) من موقع القصيص والذي يعود إلى نهاية الألف الثانية ومنتصف الألف الأولى قبل الميلاد (لوجود الحديد) كشف عن أسس جدران مشيدة بالحجارة والطين، تمتد من الشمال إلى الجنوب بمسافة (٣,٢٠م) ويوازيها جدار ثانٍ بمسافة (٢,٠٠م) أما الجدار الثالث والذي يمتد من الشرق إلى الغرب بمسافة (٣,٥٠م) ونظراً لكثرة المواد واللقى الأثرية التي تحمل صفة الثعبان والتي عثر عليها ضمن هذه المساحة، فمن المحتمل جداً أن يكون هذا البناء هو الوحيد المشيد من حجر (الفروش) والطين، ويبدو أنه معبد صغير تمارس فيه طقوس عبادة الثعبان وهي من العبادات التي لها آثار في هذه المنطقة كما في اليمن القديم والمدينة الرابعة في البحرين^(٣٦).

أما موقعا (الدور)^(٣٧) و (مليحة)^(٣٨) اللذان يعودان للفترة الهلنستية، استناداً إلى اكتشاف مجموعة من اللقى المستوردة وأحياناً المقلدة من العالم الغربي أو من سواحل البحر المتوسط الغربية فلا يمكن تحديد تاريخ لها إلا قبل القرن الثالث قبل الميلاد^(٣٩) بينما حددته البعثة العراقية الأثرية بالقرنين الرابع والثالث قبل الميلاد^(٤٠)، كذلك تشير المصادر الكلاسيكية (اليونان والرومان) إلى أن الإسكندر المقدوني (ت ٣٢٣ ق.م) أرسل ثلاثة من قواده البحريين لاكتشاف الساحل الجنوبي من الخليج العربي ووصل أحدهم وهو (هيرون Hieron) إلى نقطة يعتقد أنها عند منطقة رأس الخيمة في الوقت الحالي^(٤١) كما كان لسكان الساحل الشرقي من الخليج العربي علاقات واسعة، ولاقت مناطق سكنهم اهتماماً خاصاً في الكتب الكلاسيكية^(٤٢).

وموقع (الدور) كما يسمى في الوقت الحاضر جاءت تسميته نتيجة لوجود الدور السكنية المنتشرة والتي طمرت بفعل العوامل الطبيعية، وفي أحد مرتفعات المستوطن كشف عن قلعة ذات جدران سميكة أقيم في كل ركن من أركانها برج دائري غير منتظم، أما جدران هذه القلعة فلم تشيد بأسلوب هندسي منتظم، إذ تختلف أبعادها من الخارج والداخل اختلافاً واضحاً، وقد اكتشفت داخل سور هذه القلعة غرفة مستطيلة الشكل (٣×٤,٤٠م) ملاصقة للضلع الممتد بين البرج الشمالي والبرج الشرقي وهي مشيدة بالحجر غير المهذب إذ يبلغ سمك جدرانها (٧٠سم)، وفي وسط الساحة اكتشفت غرفتان أخريان أبعادهما (٦,٢٠×٦,٥٥م) و (٦,٢٥×٦,٠٥م) يؤدي إليهما مدخلان كائنان على استقامة واحدة^(٤٣).

وفي الحيز الأول من موقع (مليحة) ظهرت بقايا غرفة مشيدة باللبن لم يتبق منها سوى الأسس حيث اندثرت الأجزاء الأخرى وقد استعمل اللبن غير المنتظم والمعمول من طينة ممزوجة بفتات الكلس في بناء هذه الغرف ويقدر سمك كل لبنة (٥١سم) تقريباً ولقد أقيمت أسس هذه الأبنية فوق الرمال مباشرة حيث أن عوامل التعرية من أمطار ورياح تسببت في إزالة أقسام كبيرة منها .

في الحيز الرابع (شكل رقم ٥) كشف عن قصر كبير يتألف من غرف ومرافق متعددة مشيدة باللبن كسيت أرضيتها بطبقة من الجص، ولقد أصاب هذا البناء حريق كبير حدث في الأزمنة القديمة حيث أن جميع الجدران والأرضيات وجدت محروقة

بشدة، وهذا يعني تعرض المنطقة لهجوم ربما كان خارجياً وقد كشفت البعثة العراقية في الموسم الأول (١٩٧٣م) عن ثماني غرف وما تزال غرف أخرى تنتظر يد المنقبين، وهذه الغرف تختلف من حيث السعة والاستعمال ويختلف سمك جدرانها من (٧٥سم) إلى (١,٧٠م) وأكبر هذه الغرف (٣) وتبلغ مساحتها (١٠,٨٠م × ٤,٤٠م) ولها ثلاثة مداخل ذات عتبات، أما المدخل الرئيسي فيبلغ عرضه متران ويقع في الضلع الشرقي من القاعة وينفذ إلى ساحة خارجية وقد أغلق هذا المدخل في أدوار متأخرة بواسطة أحجار غير مهذبة، أما المدخلان الآخران فهما جانبيان كل منهما ينفذ إلى غرفة، إحداهما بقياس (٣×٥م) والآخرى (٣×٥,٣٦م).

وقد عثر في القاعة الكبيرة (٣) على كثير من المواد الأثرية منها كميات من الأطعمة كالتمر والحبوب ويظهر أن هذه المواد الغذائية كانت مخزونة، حيث عثر على أمثلة منها، وتلي القاعة رقم (٣) من حيث السعة القاعة رقم (١) فمساحتها (٨,٥٥م × ٣,٤٥م) كشف في ضلعها الشرقي على أربع كؤات للخبز، وقد عثر في إحدى هذه الكؤات على جرة خزفية متوسطة الحجم وفي الكوة الثانية عثر على مجرفة من الحديد، أما الضلع الجنوبي فقد أقيمت في منتصفه دكة من اللبن ذات درجتين، وجد فوق السفلي منها وعاء حجري ربما كان مسنداً لجرة من الفخار، أما الغرفة رقم (٥) فطولها (٤,٨٠م) وعرضها (٢,١٠م) عثر فيها على موقد للنار أما الغرفتان (٧) و(٨) فمتشابهتان من حيث الحجم إذ يبلغ طول كل واحدة منهما (٥,٧٠م) وعرضها (٣,٢٥م) لكل منهما مدخل يطل على الساحة وعثر في داخل الغرفة رقم (٨) على مجموعة من كسر الزجاج وعدد من الخرز المصنوع من الأحجار الكريمة وبعض العاجيات والصدف أما الغرفة رقم (٧) فعثر في داخلها على سوار من الزجاج وقد عثر في الغرفة رقم (٤) على نقد من نحاس تالف^(٤٤)، وهذا يدل على أنها ربما كانت غرفة مخصصة للنوم .

من هذا كله يمكن القول : أن الوحدات البنائية (العمارة) في المواقع الأثرية لدولة الإمارات العربية المتحدة، تتميز بالبساطة، إلا أنها متينة، لها أسس مكونة من الأحجار المحلية (الفروش) ربطت بالطين، بعد أن بنيت على سطح الأرض مباشرة دون الحفر .

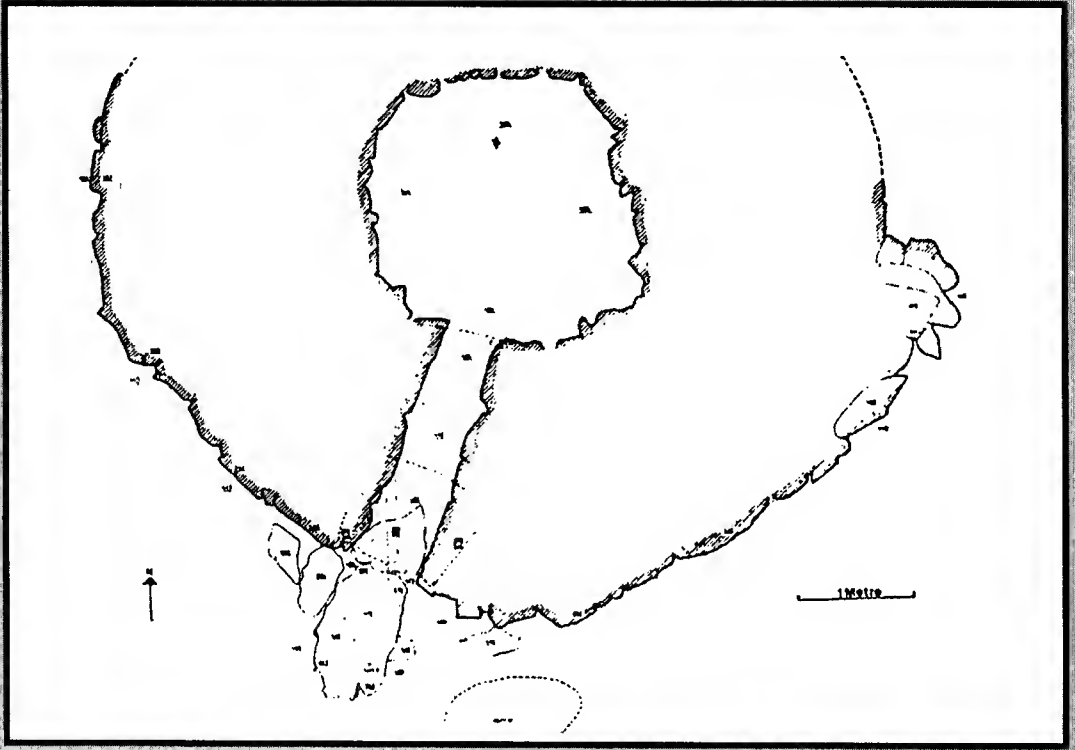
ومن مميزات المواقع الأثرية كثرة القبور بالقياس للمنازل والمعابد، ويعتقد أن الذين استقروا كانوا يقيمون مساكن مشيدة من مادة قابلة للاندثار (عرايش) قد تكون من مادة سعف النخيل أو جلود الحيوانات أو الصوف، إلا أن أسسها مشيدة من مواد كلسية ومعظم القبور مشيدة على النظام الدائري إلا القليل، فهي ذات جدار دائري على شكل حلقة ينحني إلى الداخل قليلاً، وفي الداخل يقسم إلى عدد من الغرف بواسطة جدران وكان القبر والغرف مسقفة بقطع صخرية مستوية، تثبت على الجدران التي تكون عريضة لتسهيل التسقيف، وكانت الغرف الجنائزية تتسع لأكثر من جثة واحدة، ويظهر أن بعض القبور استخدمت أكثر من مرة .

ويظهر أن الميت كان يُلف بقطعة من القماش (كفن) أو يدفن بملابسه، وهناك احتمال أن بعض الموتى يدفنون خارج القبر، وقد عثر على هياكل عظمية مع أوعية خارج القبور، وربما كانوا من حاشية صاحب القبر أو ممن هم أدنى مرتبة .

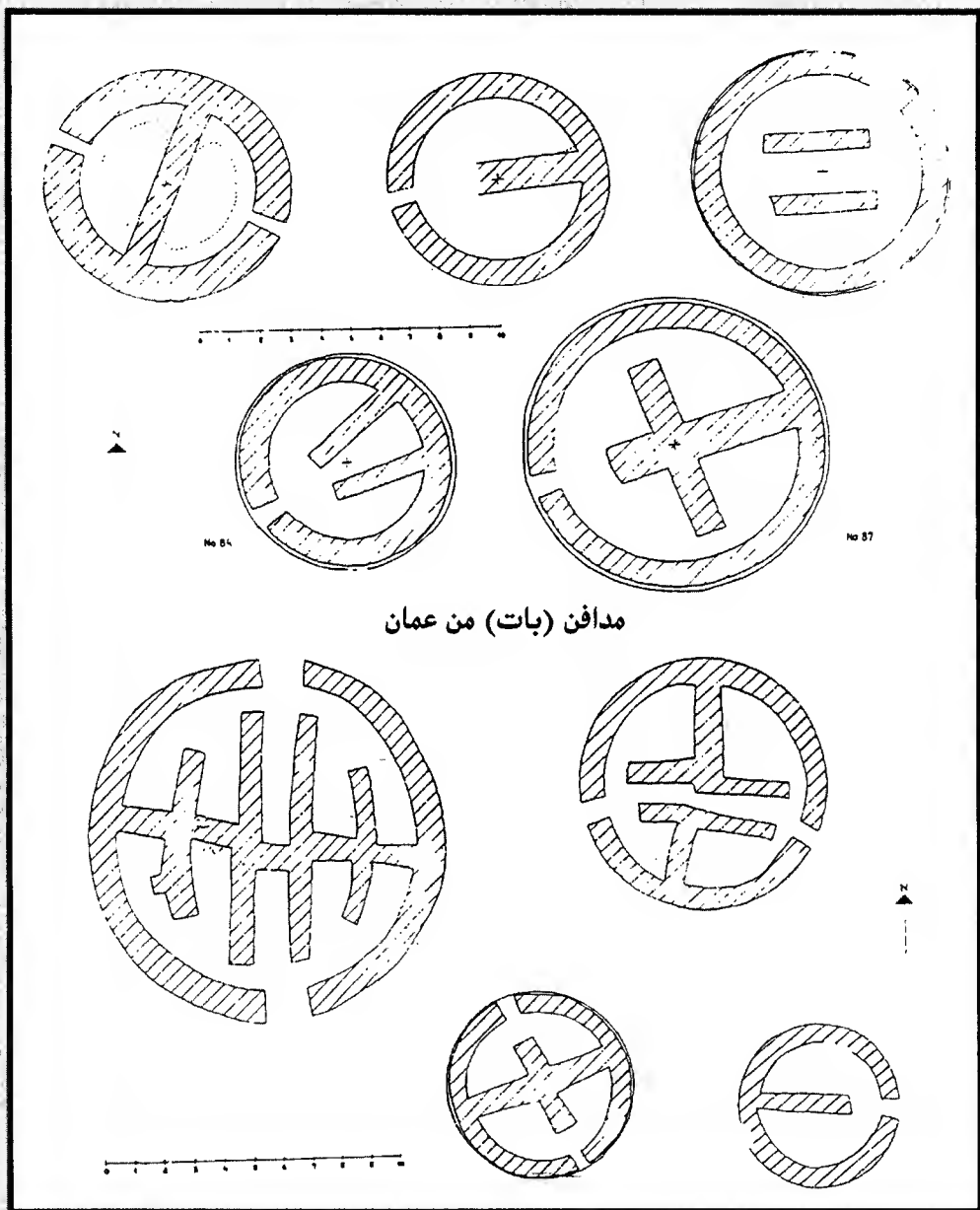
أما طريقة تسجية الميت فتكون على جانبه والرأس متجهاً إلى الشرق . والأرجل إما مدورة أو مكورة (وضع القرفصاء) واليدين تحت الرأس، وأن وجود الأثاث الجنائزي يدل على اعتقاد الناس بفكرة الحياة بعد الموت، كذلك يعلل الرفاه الاقتصادي الذي كانت تتمتع به هذه المناطق .

الدكتور جواد مطر الحمد

كلية الآداب — جامعة بغداد

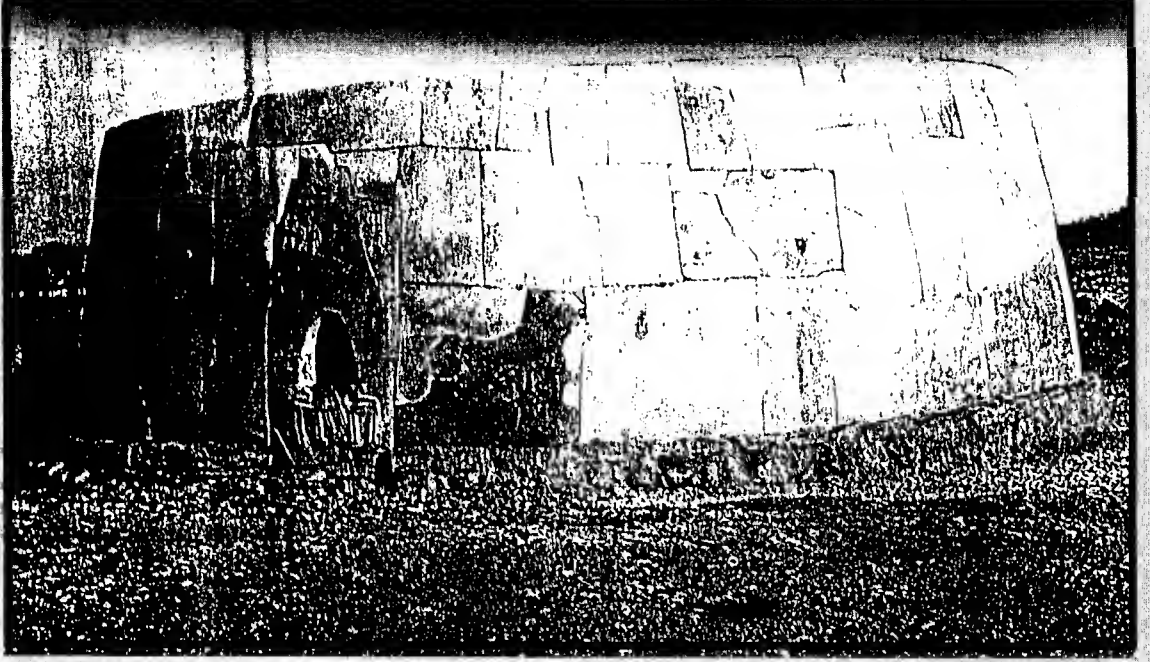


شكل (١) مخطط القبر رقم ١٣١٧ من جبل حفيت

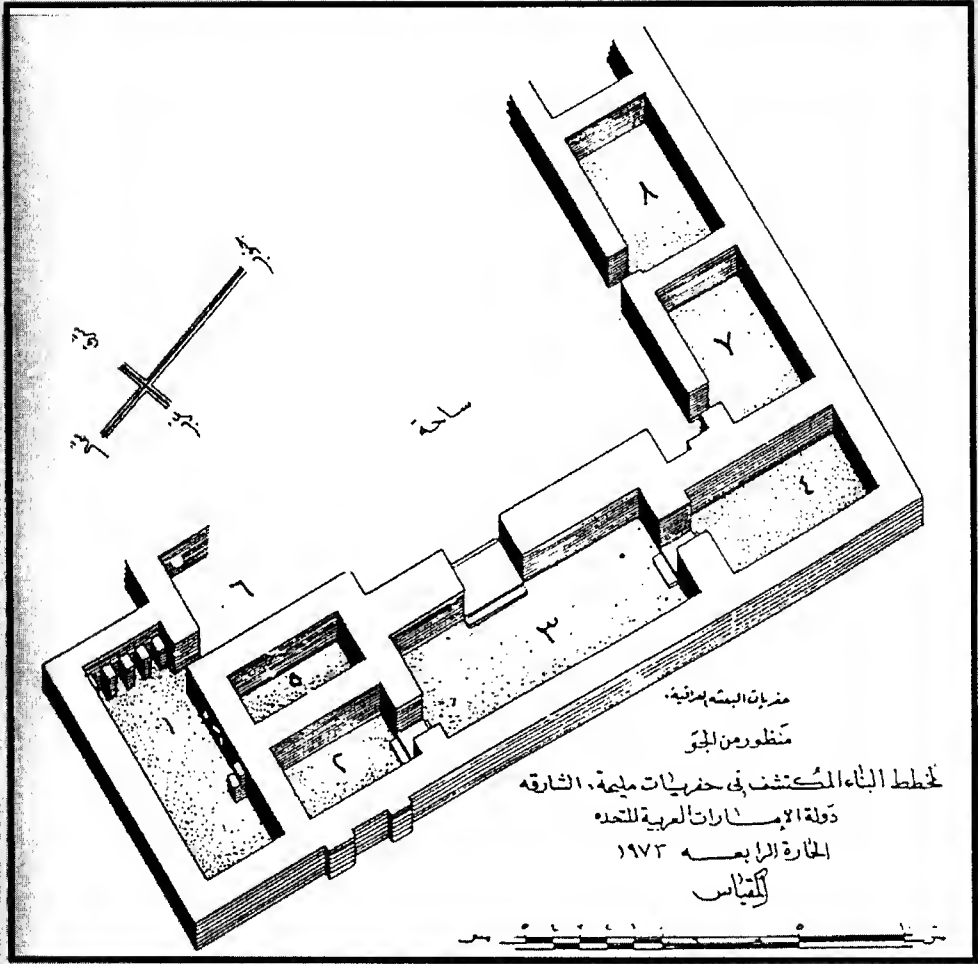


مدافن (بات) من عمان

شكل (٢) مدافن جزيرة أم النار



شكل رقم (٣) قبر هيلي الكبير



شكل رقم (٥) - موقع مليحة

المصادر والمراجع

- ١ - يقع جبل حفيت في مدينة العين (إمارة أبوظبي) يبلغ ارتفاعه أربعة آلاف قدم .
- ٢ - الآثار في دولة الإمارات العربية المتحدة، إعداد : دائرة الآثار السياحية (أبوظبي، مؤسسة الظواهر للطباعة والنشر، ١٩٧٥م) ص ١٦ .
- ٣ - ن.م، ص ص ١٦ - ٢٠ .
- ٤ - سامي سعيد الأحمد، تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي (البصرة، مركز دراسات الخليج العربي، ١٩٨٥م) ص ص ٩٧، ١٠١ .
- ٥ - الآثار، ص ٢٠ .
- ٦ - سامي سعيد الأحمد، تاريخ الخليج العربي، ص ص ٩٧-٩٩ .
- ٧ - ن.م، ص ص ٩٧، ٩٩-١٠١ .
- ٨ - جزيرة صغيرة تقع مقابل إمارة أبوظبي، مساحتها ثلاثة كيلومترات طولاً و كيلومتر عرضاً .
- ٩ - الآثار، ص ص ٢٢-٢٦ .
- ١٠ - سليمان سعدون البدر : منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابعة والثالثة قبل الميلاد (الكويت، مطبعة الحكومة، ١٩٧٤م) ص ١٦٦ .
- ١١ - الآثار، ص ص ٧٦-٧٧ .
- ١٢ - سامي سعيد الأحمد : تاريخ الخليج العربي، ص ص ١١٨، ١٤١ .
- ١٣ - يقع على بعد عشرة كيلومترات شمال مدينة الأمين في إمارة أبوظبي .
- ١٤ - الآثار، ص ص ٣٠-٣٢ .
- ١٥ - ن.م، ص ص ٣٢، ٣٥-٣٧ .
- ١٦ - سامي سعيد الأحمد : تاريخ الخليج العربي، ص ١٢ .
- ١٧ - الآثار، ص ٧٧ .
- ١٨ - سامي سعيد الأحمد : تاريخ الخليج العربي، ص ١١٥ .
- ١٩ - سليمان سعدون البدر، منطقة الخليج العربي، ص ١٦٤ .
- ٢٠ - الآثار، ص ٤٥ .
- ٢١ - يقع على الحدود ما بين عمان ومدينة العين (أبوظبي) .
- ٢٢ - سامي سعيد الأحمد : تاريخ الخليج العربي، ص ١٠٥ .

- ٢٣ - الآثار ص ص٤٧-٤٩ .
- ٢٤ - سامي سعيد الأحمد، تاريخ الخليج العربي، ص١٠٥ .
- ٢٥ - يقع شمال شرقي مدينة ديرة في إمارة دبي بمسافة ثلاثة كيلومترات .
- ٢٦ - منير يوسف طه، اكتشاف العصر الحديدي في دولة الإمارات العربية المتحدة (البصرة، مركز دراسات الخليج العربي، ١٩٨٩م) ص٧٨ .
- ٢٧ - ن.م، ص ص ٨٦، ٨٨، ٩٢-٩٥ .
- ٢٨ - الآثار، ص ٦٠ .
- ٢٩ - سليمان سعدون البدر، منطقة الخليج العربي، ص ٥٥ .
- ٣٠ - منير يوسف طه، اكتشاف العصر الحديدي، ص ص ١٣١، ١٩٧ .
- ٣١ - سامي سعيد الأحمد، تاريخ الخليج العربي، ص ١١٤ .
- ٣٢ - الآثار، ص ٣٩ .
- ٣٣ - يقع بين موقع هيلي وقطارة .
- ٣٤ - منير يوسف طه، اكتشاف العصر الحديدي، ص ١٩٦ .
- ٣٥ - ن.م، ص ص ٧٤-٧٥ .
- ٣٦ - ن.م، ص ص ١١٣، ١١٦، ٢٠٧ .
- ٣٧ - يقع في إمارة أم القيوين على الطريق العام الذي يربط الشارقة برأس الخيمة .
- ٣٨ - يقع في أراضي إمارة الشارقة، ويبعد عن الساحل حوالي (٦٠ كم) .
- ٣٩ - ريمي أبوشارات، من العصر الحديدي إلى العصر الهلنستي - شواهد من مليحة، ترجمة رعد عبد الجليل جواد، (الشارقة، مجلة دراسات، العدد الأول ١٩٩٠م) ص ١٢٥ .
- ٤٠ - الآثار، ص ٥٨ .
- ٤١ - لطفي عبد الوهاب يحيى، العرب في العصور القديمة (بيروت، دار النهضة العربية ١٩٧٩م) ص ٤٢٢ .
- ٤٢ - ينظر : ناصر حسين العبودي، الخليج العربي في المصادر اليونانية القديمة، (الشارقة، مجلة دراسات، العدد الأول ١٩٩٠م) ص ص ١٣٣-١٣٤ .
- ٤٣ - الآثار، ص ٦٤ .
- ٤٤ - ن.م، ص ٦١ .

من كتاب (العمران التقليدي في دولة الإمارات العربية المتحدة) مؤلفه
الأستاذ الدكتور محمد مدحت جابر عبد الجليل / من منشورات مركز زايد
للتراث والتاريخ (العين) ٢٠٠٠ م .



الجغرافيا التاريخية للعمران

في دولة الإمارات العربية المتحدة

على الرغم من أن الأبحاث الخاصة بالتاريخ القديم لدولة الإمارات محدودة عموماً، إلا أن النتائج الأثرية الخاصة بالعمران القديم محدودة للغاية، ومع ذلك فهي كافية لتأكيد أن المنطقة عرفت الاستقرار والحضارة منذ زمن موغل في القدم . وتفترض "كاي Kay" أن السكان قد عمروا أرض الإمارات خلال فترة مناخية رطبة استمرت ما بين ٩٠٠٠ - ٦٠٠٠ سنة سبقت، ويدل على ذلك العديد من الآثار التي وجدت عند خضيض المناطق الجبلية^(١) . وهناك دلائل على بداية ارتباط العمران القديم بالسواحل في العصور الحجرية والمعدنية، على الرغم من تذبذب خط الساحل الذي قضى على كثير من الآثار الدالة على ذلك^(٢)، ومعظم المحال كانت محال صيد ترجع لحوالي ٦٠٠٠ - ٧٠٠٠ سنة مضت، وبعد هذا التاريخ وحوالي ٢٠٠٠ - ٣٠٠٠ سنة مضت كان سطح البحر أكثر ارتفاعاً عنه الآن بحوالي متر واحد، وامتدت الكثبان الرملية على طول خط الساحل، وبين الكثبان والبحر انتشرت اللاجونات والخلجان، التي ملأتها الرواسب وتمثلها السبخات الحالية . وقد وفرت هذه اللاجونات موانئ ومرافئ لقوارب الصيد، وزودت السكان بالغذاء البحري، كذلك كانت غنية بأشجار المانجروف، وهي مصدر مهم للوقود والخشب اللازم للبناء، كذلك زودت الإنسان بأنواع الحياة البرية التي كانت غنية بها .

أما سكان المناطق الداخلية فقد أثر توافر الماء في اختيار مواضع العمران، وهكذا حظيت مواضع، مثل الواحات ومقدمات جبل حفيت، بمراكز عمرانية سكنت منذ أكثر من ٥٠٠٠ سنة^(٣)، وفي هذه المواضع توجد أقدم المقابر الأثرية. وهنا بالداخل اختلفت القاعدة الاقتصادية للعمران عنها في المناطق الساحلية حيث مجتمع الصيد، وكان لسكان الداخل تركيبهم الاجتماعي الخاص بهم، وروابطهم التجارية، وعرفوا الزراعة، ويؤكد ذلك آثار منطقة هيلي شمالي مدينة العين التي ترجع للألف الثالث ق.م. حيث عرفوا زراعة الحبوب، وهو ما يغير الآراء السابقة عن معرفة الزراعة في شبه الجزيرة العربية التي اعتاد الأثريون استثناءها من هذا النشاط^(٤).

وقد كان العمران القديم معاصراً له في بعض مناطق الخليج العربي الأخرى ولاسيما في البحرين، حيث قامت مملكة بحرية قديمة هي "ديلمون" منذ حوالي ٥٠٠٠ سنة مضت^(٥). وقد ارتبط العمران أساساً بالجزء الشمالي من البحرين دائماً. ومراكز العمران مثل هيلي تثبت أنها بنيت من اللبن، وكانت جيدة في التنظيم، بل إن بعضها قد احتوى على "المجلس" الذي لا زال ملمحاً عمرانياً معاصراً حتى الآن في مباني الإمارات (أحد المنازل في محلة هيلي القديمة وصلت مساحته إلى ٢٥٠ متراً مربعاً، وتكون من ٩ غرف - راجع دائرة الآثار والسياحة - العين ص ٨)، كذلك كان بالمنازل شرفات، ودرج يؤدي إلى السطح^(٦). ومقابر جبل حفيت ترجع إلى ٣٠٠٠ سنة ق.م. وهي أدلة على عمران العصر الحجري وكانت مقابرهم تلالية مما يدل على تأثرهم بالسومريين. وقد عملت مراكز العمران في الإمارات كمراكز تجارية مهمة تربط بين السند وفارس وميزوبوتاميا، وقد برع السكان في ركوب البحر كذلك، ويرى بعضهم أن منطقة أم النار (قرب أبوظبي الحالية) ربما تكون إحدى المحطات التجارية القديمة، التي كان يحمل إليها النحاس قديماً من جبال عُمان على ظهور الجمال، ويلاحظ أن آثار الجمال في مستوطنة أم النار أقدم الآثار الدالة على استئناس الجمال في العالم، وكانت منازل أم النار من الحجارة وترجع إلى حوالي ٤٥٠٠ سنة مضت^(٧).

وتدل الدلائل الأركيولوجية على وجود مواضع بالمنطقة الشرقية من الإمارات عرفت استخدام المعدن منذ سنة ٢٠٠٠ ق.م. إضافة إلى وجود دلائل على تحول السكان للبداءة بسبب تدهور مستوى الماء في الآبار، وزحف الرمال، وواكب ذلك استئناس الجمال فعُضد

ذلك الحياة البدوية ولذلك فالآثار المنتمية للألف الثاني ق.م.^(٨) مثل التي وجدت في القطارة قرب مدينة العين، والقصييص قرب دبي، كانت أقل دقة من سابقتها، وتشمل البقايا الأثرية لهذه المدة صناعات معدنية نحاسية، وأدوات، مثل فأس برونزية، ترجع من حيث العمر إلى حوالي الألف الثاني ق.م. في منطقة هيلي^(٩). وتشير الدلائل كذلك إلى وجود محلة عمرانية مهمة في موضع "شمل" في إمارة رأس الخيمة، وهي دليل نادر من أدلة العمران في الألف الثاني ق.م. والمحلة مستطيلة الشكل، وهناك دلائل على شغل الموضع الاستراتيجي، ويطل على واد خصب. وبالقرب من شمل كان يمتد الطريق التجاري الذي يصل إلى ميناء مهم قريب هو جلفار (Julfar) (قرب رأس الخيمة الحالية). وقد اكتشف العلماء في الموضع أدلة على ارتفاع معدل وفيات الأطفال من ناحية، وعلى انخفاض أمد الحياة لدى الإناث عنه لدى الذكور على عكس الحال في الوقت الحالي في العالم أجمع^(١٠)، وقد دعم العمران معرفة نظام الأفلاج في منطقة جبال الحجر، ويعتقد أنه عرف عن إيران خلال الألف الثاني ق.م. حيث عرفه سكان جبال البرز في إيران.

وكلمة فلج مشتقة من اللغة السامية ومعناها التفرع والانقسام. ومن الآثار التي ترجع إلى العصر الحديدي قرية قديمة في منطقة الرملة قرب العين حيث وجد هناك مستويان للعمران يرجعان عموماً إلى ما بين ١٦٩٥ ق.م. - ٦٠٠ ق.م. كذلك وجدت في الهيلي آثار ترجع إلى النصف الأول من الألف ق.م. ذات منازل جيدة حتى إنها تبدو للناظر كما لو كانت قد شيدت من عقد أو عقدين من الزمان فقط، وقد وجدت بها بعض آثار العنف الذي قد يكون سبب هجرها حوالي سنة ٥٠٠ ق.م..

وفي العصر الإغريقي الروماني هناك عديد من الأدلة العمرانية تتمثل في القلاع والأبراج المستديرة، ومثالها قلعة الدور في أم القيوين، وقد ساعد على العمران آنذاك في القرن الثالث ق.م. أهمية "جرها" واستخدم العرب ذلك الموضع كمستودع للتجارة مع الهند، ولذلك ساعد ذلك النشاط التجاري على نشأة عدة مدن في ساحل الخليج العربي للإمارات في الشارقة وقرب رأس الخيمة^(١١).

وتشير الفترة الهيلنستية إلى أحد المواضع المهمة عند ساحل أم القيوين حيث موقع ميناء مهم يعرف اليوم باسم عربي هو "الدور". وتدل الشواهد على أن الموضع العمراني

للمدينة كان يمتد إلى حوالي (كيلومترين)، ووجدت بها آثارٌ من فارس وروما والدولة النبطية في شمال الجزيرة العربية، وعملات معدنية أيضاً، وظهرت من محلات هذا العصر "جرها" التي يعتقد بأن موضعها في مكان ما شرقي الجزيرة العربية و "الدور" أيضاً وما يعنينا بشأن "الدور" الواقعة في منطقة الدراسة أن التجارة الدولية المتنامية في زمنها أثرت في نموها واتساعها، وقد ارتبطت الدور بموضع داخلي مهم عند مليحة. وذلك على طريق القوافل المهم على طول الجانب الغربي لحضيض جبال الحجر، وفي منطقة ذات ماء جوفي قريب من سطح الأرض، وكانت "مليحة" مدينة عامرة كبيرة منذ أكثر من ٢٠٠٠ عام مضت، وقد اكتشف موضعها سنة ١٩٧٠، وفيها قصر كبير من اللبن والعديد من الآثار الدالة على النشاط التجاري بينها وبين جزر أوردس، كذلك دلائل على أن مليحة كانت بوابة إلى داخل عمان .

أما في العهد الإسلامي وما قبله، فقد كان موضع "دبا" أهم المواضع العمرانية، وقامت بها سوق كبيرة للعرب قبل الإسلام على درجة كبيرة من الأهمية، وتنافست مع سوق "صحار" في عمان، وكان يأتي للسوق تجار من الجزيرة العربية والصين والهند . وعملت دبا منذ ما قبل الإسلام كمنفذ لتجارة القبائل العربية التي سكنت المناطق الداخلية، وقد اتخذت هذه القبائل من "توام" (قرب العين) عاصمة لها . وكانت السلع المتداولة في دبا وغيرها متعددة، بعضها يأتي من الخارج، ومن أهمها اللبان و"الضجاج"، وهو ينتج صمغاً أبيض اللون يستخدم في تنظيف الملابس وشعر الرأس، وكذلك سلع "الطلوق" و "التامول" وله طعم وميزات القرنفل وأيضاً الزنجبيل والتمر هندي، وقد أشار الطبري في العهد الإسلامي أيضاً إلى "جلفار" قرب رأس الخيمة، ووردت في الكتابات الإسلامية منذ سنة ٧٦هـ، وما بعدها وازدهرت زمن سيطرة البرتغاليين على الخليج في القرن ١٦م^(١٢) . وجاءت شهرتها من التجارة البحرية وتجارة اللؤلؤ . وقد سجل "لوريمر" العديد من دلائل العمران ومراكزه في الإمارات، وذلك في دليله الشامل عن الخليج^(١٣) . وقد أصبحت الأخوار دائماً طوال تاريخ الإمارات من أهم مناطق الجذب العمراني حتى العصر الحديث .

هوامش

- ١ - Kay, S., Emirates Arcaeological heritage, Motivate publishing, Dubai, 1986, P.12.
- ٢ - تأثر العمران بالتطورات الجيولوجية للخليج العربي وخاصة تطوره الباليوجرافي وتذبذب مستوى سطح مياهه في البلايستوسين وفترة الهولوسين - للتوسع راجع : حسن أبو العينين سنة ١٩٩٦م، ص ١٣٧-١٨٧ .
- ٣ - Ibid. PP.16-17.
- ٤ - سيف علي الضبع ، في كتاب الآثار في دولة الإمارات العربية المتحدة - الصادر عن دائرة الآثار في دولة الإمارات - العين - بدون تاريخ نشر - ص ٥ .
- ٥ - Brunsden, D.; Doornkamp, J. & Jones D., The Bahrain surface materials resources survey and its appkication to regional Planning. The Geographical Journal, Vol. 145, Part 1, March, 1979, P.1 .
- ٦ - السيد سعيد عبد الرحمن - في كتاب الآثار في دولة الإمارات - مرجع سابق ص ٨ .
- ٧ - Kay, S., Op. Cit., P.22 .
- ٨ - سامي سعيد الأحمد - تاريخ الخليج العربي منذ أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي . منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة - شعبة دراسات العلوم الاجتماعية (٦٧) سنة ١٩٨٥م .
- ٩ - سيرج كلوزيو - في كتاب الآثار في دولة الإمارات - مرجع سابق - ص ١٩-٤١ .
- ١٠ - Kay, S., Op. Cit., P.38.
- ١١ - دولة الإمارات العربية المتحدة - الآثار في دولة الإمارات - مرجع سابق . ص ٧١-٧٩ .
- ١٢ - Kay, S., Op. Cit., P.60-26.
- ١٣ - لوريمر - دليل الخليج - القسم التاريخي (٦ أجزاء) والجغرافي (٦ أجزاء) الدوحة - بدون تاريخ نشر .